جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

صورة السيوطي في حِكَمِه (دُرَرِ الكَلِم وغُرَرِ الحِكَم نموذجا)

الدكتور

علي بن أحمد طالب الهمامي

قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب ـ جامعة نجران
المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة السيوطي في حِكَمِه (دُرَرِ الكَلِم وغُررِ الحِكَم نموذجا)

علي بن أحمد طالب الهمامي

قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب ـ جامعة نجران ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : aalhamami@nu.edu.sa

الملخص :

ينقب البحث عن صورة الإمام السيوطي في حِكَمه الموسومة بـ (دُرَرِ الكَلِم وغُررِ الحكم)، ويبحث عن خوافي هذه الصورة التي تبدّت في هذا العمل الإبداعي اليسير من خلال: الرؤيا العامة التي ينطلق منها المؤلف، والبيئة التي يحاورها، ويتفنن في استنهاضها، ويعدد مطالبها، ويؤكد على قيمها، ويشير إلى معارفها وعلومها.

ولكشف هذه الصورة؛ اهتم البحث بلغة المؤلف، وطريقة تشكيلها؛ لأن دراسة التشكيل تنبثق من انعطافات اللغة حيناً، ومن تكثيفها حيناً، ومن الميل إلى التصوير والإيقاع حيناً، ومن تفضيل أسلوب على أسلوب، ومن ذكر ما يغني عن الحذف، وكل ذلك يتعاضد معاً، ويسير جنباً لجنب؛ لتشكيل ذات المبدع، أو لمقاربة هذه الذات

الكلمات المفتاحية : صورة، السيوطي، دُرر الكلم، الأنا، البيئة، اللغة.

The Picture of Al-Suyuti in his Wisdom (Durar al-Kalam and Gharar al-Hakam as an example)

Ali bin Ahmed Talib Hammami
Department of Arabic Language, College of Science and Arts, Najran University, Kingdom of Saudi Arabia .
Email: aalhamami@nu.edu.sa

Abstract:

The search for a picture of Imam Al-Suyuti in his tagged wisdom is searching

B (Durar al-Kalam and Gharar al-Hakam), and searches for the hidden aspects of this image that appeared in this easy creative work through: the general vision from which the author proceeds, the environment he talks with, masters in provoking it, enumerates its demands, emphasizes its values, and refers to its knowledge and sciences.

To reveal this image; The research focused on the language of the author, and the method of its formation; Because the study of diacritics stems from the deviations of the language at times, and its intensification at times, and the tendency to depict and rhythm at times, and from the preference of style over style, and from mentioning what dispenses with deletion, and all of this support each other, and go hand in hand; To form the creative self, or to approach this self

Keywords : Image, Al-Suyuti, Dorar Al-Kalam, ego, environment, language .

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: مدخل

يُعد الإمام جلال الدين السيوطي من علماء الأمة الكبار، حيث بلغ مرتبة عالية في علم التفسير والحديث والمصطلح والفقه واللغة والتصريف والبلاغة والطبقات. وقد ذاع صيته، وانتشرت مؤلفاته، فقد ذكر الغزي وابن العماد أن مؤلفات السيوطي نيفت على خمس مئة مؤلف، وبعضهم أوصلها إلى سبع مئة وخمسة وعشرين مؤلفاً في شتى المعارف[١].

وليس من شأن الدراسة تقصي حياة الإمام السيوطي ومعرفة آثاره العلمية، وإن كان انتماؤه إلى طبقة العلماء يُعتبر إحدى العتبات المهمة التي تُضيء خبايا النص من جهة، وتكشف عن أثر هذه الطبقة في ثراء النص من جهة أخرى.

ولا يمكن في هذا الصدد أن يغفل الباحث عن الأحداث البارزة، والمهمة التي أثرت في حياة السيوطي العلمية والفكرية؛ ومن أهمها الإجازة بالتدريس في مستهل سنة(٨٦٦هـ) [٢] ، وهي السنة التي سبقت رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. هذه المكانة العلمية التي تبوأها الإمام السيوطي كان لها الأثر في ذاته أولاً، وفي اتجاهاته الفكرية والأدبية ثانياً، ومن ثَم كانت المفتاح الأول الذي وصل من خلاله إلى رتبة الاجتهاد كما ادعى ذلك سنة (٨٨٨هـ) [٣].

---

(١) ينظر: سمير محمد الدروبي، شرح مقامات جلال الدين السيوطي (مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص٣٥ ،٣٦

(٢) ينظر : السابق، ص ٣٢

(٣) ينظر: السابق، ص٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومما سبق يتبدى جلياً للمتأمل حضور (الأنا) في حياة هذا السيوطي، ولعل هذا الحضور للأنا هو الدافع الأبرز للخوض في شتى العلوم على اختلاف مشاربها، ولعله كذلك هو الوقود الحقيقي للهمة التي تدثر بها السيوطي منذ صباه حتى رحيله عن الدنيا.

ودراسة مؤلف وجيز كَدُرر الكلِم وغُرر الحكَم[١]، ليست مقياساً دقيقاً لمعرفة المؤلف، والوقوف على عصره، واستكشاف بعض جوانبه، وكذلك ليست مقياساً لمعرفة الإبداع من عدمه في هذا الفن؛ خاصة أن السيوطي موسوعة في شتى المعارف والعلوم. ومع ذلك تتبدى بعض الخيوط الدقيقة في هذا المؤلف الوجيز، والتي يتصل بعضها ببعض، وقد تتعاضد معاً فتساعد في رسم صورة عن المؤلف وعن عصره، وإبداعه، وثقافته، وفكره، وذلك لا يتأتّى إلا من خلال التأويل الذي هو بمثابة الحوار الخلاق بين النص والقارئ، أو هو رؤية للنص من باطنه؛ لأن السؤال الموجه إلى النص يكشف عن قدرته على الحديث أو الإنصات[٢].

ودُرَر الكلم وغرر الحكم ينتمي إلى باب الحكمة كما هو واضح من العنوان والمقدمة، وإن كان يختلف عن الحكم السابقة في بنيته، حيث جاء

---

(١) هناك دراسة بعنوان: أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، القيسي، فايز عبدالنبي، مؤته للبحوث والدراسات- سلسلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مرتة، مج ٢٠، ع٨، ٢٠٠٥م، تناولت مفهوم الحكمة، ودوافع تأليف الرسالة، ومنهجها، وروافد الحكمة فيها، وصادرها، وموضوعاتها، ثم السمات الفنية واللغوية لعبارة الحكمة. وهذه الدراسة تختلف عنها في منهجها إذ تتجه من داخل النص، وتفتش عن مؤلفه فيه، وتقترب منه، وتدلل عليه من خلال الحكمة أولاً.

(٢) ينظر: مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، (سلسلة عالم المعرفة،٢١٨، ت١٩٩٧م)، ص٧.

في مقدمة وعرض – متنوع الموضوعات– وخاتمة، وهو بهذه البنية شبيه بالرسالة الأدبية، لأنه اتخذ شكلاً فنياً جديداً يختلف في بعض جزئياته عن المألوف في الرسائل الأدبية التي توجه إلى طرف معين [١] . ويمكن أن ينظر إلى هذا العمل على أنه جنس يندرج تحت الوصايا الأدبية إذا نُظِرَ إلى المعايير المقامية التي تتعلق بالموصي، والموصى له، وزمن انعقاد الوصية، وكذلك إذا نُظِر إلى الجنس القولي الذي يتمتع ببعض الخصائص الفنية كطول الجملة ووضوحها وميلها إلى السجع غير المتكلف [٢]، هذا إذا استثنيت رابطة القرابة وصدق الوجدان بين الموصي والموصى له.

ويمكن– في هذه المقاربة– أن ترد عدة أسئلة تتعلق بموضوع الحكمة؛ من الذي يصدرها؟ وما مدى قوتها؟ وهل هي قوة منطقية أم قوة وجدانية؟ لأن الدراسات تشير إلى أن المعمرين هم أصحاب الحكمة والتجربة "ومما يكسب الحكمة قوة حجاجية أو يضاعف من قوتها صدورها عن ذات حكيمة، عُمرت طويلاً، وخبرت الحياة...فاكتسبت بذلك معرفة لا يكتسبها إلا المعمرون" [٣]، فهل كان الإمام السيوطي كذلك؟

الناظر لدرر الكلم وغرر الحكم يرى أنه صدر عن المؤلف في شبابه، ومع ذلك جاء في باب الحكمة، ولعل الذي جعل هذا العمل مقبولاً، هو صدوره عن عالم بلغ مرتبة عالية في العلم والفهم، فهو بذلك جمع بين

(١) ينظر: فايز القيسي، تحقيق درر الكلم وغرر الحكم، (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد التاسع والستون)، ص١٦١

(٢) ينظر: عبدالله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا مقاربة أسلوبية حجاجية، (الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط١، ت ٢٠١١م) ص ٥٠ – ٥٦

(٣) الوصايا الأدبية، ص٢٢٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحكمة التي استنطقَها من عقول العلماء، والتجربة التي تشربها من احتكاكه بطبقات المجتمع كلها من علماء، ومفكرين، وقضاة، ووزراء، وحكام، وعامة الشعب.

والتفاف الناس حول السيوطي بوصفه معلم وموجه؛ خوّله في إصدار الحكمة، ومَن هذا شأنه لاشك في أن حكمته سيكون لها الأثر، وكذلك سيكتب لها السيرورة بين الناس في عصره وبعد عصره، ويخلدها التاريخ، وتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل.

وإذا كان المضمون الإنساني للأمثال والحكم يتصل بطبائع الناس، من خير وشر، وسعادة وشقاء، وفضيلة ورذيلة؛ فإن أهميتها تبدو في كونها وسيلة تربوية، فيها من التذكير والوعظ، والحث والزجر، والتصوير والتجسيم ولذا قيل: المثل أعون شيء على البيان(١) .

ويمكن للدارس أن يتناول درر الكلم وغرر الحكم من خلال العوالم المختلفة التي تشكلت منها، وأسهمت في إبرازها، وقربتها للمتلقي، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال الرؤيا بمفهومها العام.

وإذا كان للرؤيا دور في إثراء النص؛ فإن اللغة والأسلوب والصورة والبناء والإيقاع، لها فاعلية – لا تخفى– في مقاربة النص، واستنطاق كوامنه، والإنصات إليه، والحوار معه، ويمكن أن تنتمي هذه الأدوات إلى عنصر التشكيل الذي سيحظى بمزيد بيان.

---

(١) ينظر: علي بن محمد الماوردي، الأمثال والحكم، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، (دار الوطن، الرياض، ط١، ت١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ص٢٠-٢١

ثانيا: الرؤيا

المبدع بحاجة إلى فهم الواقع الذي يعيشه؛ ليجعل له من هذا الفهم مرآة تعكس أفكاره الخاصة، وهو بهذا يسعى لإيجاد صلة ما تربط بين ما يؤمن به، وما يحيط به مما يتفق مع أفكاره تارة ويختلف معها تارة أخرى. ولذلك لا تنشأ الرؤيا إلا عن فهم عميق للواقع " فالحياة ملأى بالمتناقضات، والمبدع يحاول فهم قانونها، واكتشاف المنطق الذي يدور فيه التاريخ والتفاعل مع أحداث العصر، محاولاً الخروج برؤيا متبصرة تتخطى الواقع متجهة للمستقبل" (١) .

وهي بذلك– أي الرؤيا– تسهم في معرفة العالم، وموقف المبدع منه، وتأقلم الذات معه، في سبيل تحقيق الأمان والتقدير للذات، والانسجام مع واجبها الفردي والمجتمعي(٢).

وهنا يتبادر سؤال إلى الذهن؛ هل تنشأ العملية الإبداعية من فراغ؟ وهل تتصل بالواقع اتصالاً مثمراً، أم تنفصل عنه؟ والإجابة عن ذلك تعود إلى حقل الرؤيا؛ لأن العملية الإبداعية " ثمرة للبنية الواقعية السائدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، على السواء، هذا من حيث كون العملية الإبداعية عملاً مؤثراً ومتأثراً، يفيد ويستفيد من المحيط عامة..." (٣) . وإذا كانت الرؤيا بمفهومها العام تتجه إلى فهم الواقع؛ فإن

---

(١) مجدي عيد علي الأحمدي، الرؤيا والتشكيل دراسة في شعر محمد لافي، إشراف سامح الرواشدة، (جامعة مؤتة، ت٢٠١٣م)، ص٨

(٢) ينظر : السابق، ص٨

(٣) فايز القيسي، جماليات خطاب النسوة في أحاديث بن دريد (حديث زبراء الكاهنة مع بني رئام أنموذجاُ) ص٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الكشف عنها لا يكتمل إلا بالنظر إلى ما خلف الصور والرموز من دلالات؛ ليتبدى للدارس خيط الوصل بين اللغة والمحيط، وبينهما وبين الذات المبدعة(١).

والناظر لدرر الكلم وغرر الحكم يرى الواقع بارزاً، لا يكاد يخفى، ويرى ذات المبدع تحوم عالياً؛ لترى الجزء قبل الكل؛ والصواب قبل الخطأ، ومفترق الطرق المضيء قبل المظلم؛ ولتوقد شمعة الأمل في الوجدان والفكر، وبين المتعلمين، ووقت الاختلاط بالعامة، وأرباب الأفكار المختلفة؛ لأن المهمة التي التزمت بها تجبرها على ذلك، فهي في موقع القدوة، ومحل النظر من العالم والعامي، والكبير و الصغير، والفيلسوف والأديب والفقيه والمفسر، وغيرهم من أصناف الناس المختلفة.

وبعد هذا العرض الموجز يمكن أن يُكشف النقاب عن شيء من هذه الرؤيا التي برزت في أثناء هذه الحكم المتتابعة من خلال.

١. البيئة.

تكاد هذه الحِكَم أن تكون صورة صادقة عن هذه البيئة التي ينتمي إليها المبدع –بيئة العلماء – فقد حاول أن يبين بعض خباياها التي لا تظهر إلا لمن انغمس فيها بقلبه وقالبه؛ فمتطلبات هذه البيئة عسيرة على النفس، لا تتأتى لأي أحد، وأهم مطلب لهذه البيئة هو الإخلاص لله، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى ما وصل إليه أهل هذه البيئة إلا من خلاله، وقد أشار إليه المؤلف في صورة التقوى؛ ولأهميته صدّر به حِكَمه وقرنه بالعزلة، والانقطاع عن الناس، والاتصال بالكتاب، والخلوة به، حيث يقول: " فَازَ مَنْ

(١) ينظر: الرؤيا والتشكيل دراسة في شعر محمد لافي، ص٩

تبوَّأ من التَّقْوَى نُزُلَهُ، وحاز الرَّاحةَ مَنْ تَبَوأ العُزْلَةَ. صِلةُ، النَّاس ليس لها عائدٌ، ومَعْرِفَتُهمُ نزرةُ الفوائدِ، مَنْ عَرَفَ النَّاس خُصَّ بالبلاءِ، وأَحَاطَ به الرِّقُّ والولاءُ " [١] . إذن فالتقوى طريق الفوز، والعزلة طريق الراحة، وبهما يستطيع المتعلم أن يترقى في سلم العلم، ويصل إلى الدرجات العالية، وإذا كانا مما يستعصيان على النفس، ويجلبان المشقة لها؛ فإن صلة الناس التي تبدو محببة إلى النفس، خالية من المشقة ليس لها عائد، وكأنه يشير إلى أن عائد العلم لا يمكن أن يتأتى من خلال الصلة بالناس والانخراط في ما يشغلهم. وهذا أهم المطالب التي تختص بها هذه البيئة، ويؤكد هذا المطلب قوله في آخر هذه الحِكم: " زينةُ الإخلاصِ أحسنُ زينةٍ، ولا يَسْترُ الصَّدَفُ الدُّرةَ الثَّمِينةَ" [٢].

ومن المطالب التي تختص بها هذه البيئة مطلب الصبر، فإذا تبدت أهمية الإخلاص والعزلة؛ فإن الأهمية تتبدى أكثر من خلال ارتباطهما بالصبر، فلا إخلاص بلا صبر، ولا عزلة بلا صبر، "الكِتَابَ الكِتَابَ ولا يَصُدَّنَّك العِتَابُ، والسُّنَّةَ السُّنَّةَ ولو عَلَتْكَ الأَسِنَّةِ" [٣]. ومَن ذا الذي سلم من العتاب، وأخطأته السهام ممن سار على نهج العلماء.

ومن المطالب أيضاً، الارتباط بالآخرة، وتكبيرها في النفوس، والانفكاك عن الفانية وتحقيرها في النفوس؛ لأنها تؤخر الفاضل وتقدم الجاهل " أُفٍّ للدُّنيا تُقدِّمُ الجَاهِلَ، وتؤخِّرُ الفَاضِلَ، وَتَبًّا لِلْعليا يفوتُها السَّابقُ والناضلُ. لم يَزَلْ الناقصُ يَذُمُّ الكَامِلَ، والقالصُ يَذْأَمُ الشَّامل... مَلأَ اللّهُ طَائِرَنَا بالحَسَنَاتِ

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٨
(٢) السابق: ص ١٧١
(٣) السابق: ص ١٦٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يَوْمَ العَرض، كما مَلأَ بعلْم عَالم قريشٍ طَبَق الأَرْضِ.. ." [١] فسلوة المؤمن مؤجلة، وثمرة صبره مرهونة بانفكاكه عن الدنيا الفانية " لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى زَهْرةِ الدُّنيا، واقْصُرْ يَدَيْكَ تنلِ الزُّهْرةَ العُلْيا" [٢]

ومن مطالب هذه البيئة؛ إبراز القدوة، وخاصة في مجتمع يرى الاختلاف في مسائل الاجتهاد مثمراً، ويرى كذلك مزاحمة العلوم الأخرى لمواقعه كعلم الفلسفة، بوصفه علم يبجل العقل، ويهمل النقل. من هنا تبرز أهمية القدوة في هذه البيئة؛ أو يكون إبرازها ناجم عن سؤال المتلقي الذي تشابهت عليه الطرق في بعض المسائل الاجتهادية التي يختلف حولها أهل المذهب الواحد، ومن الممكن أيضاً أن يكون للتقليد حضور في المسائل الاجتهادية، بوصفه أداة تميز مجتمعاً عن مجتمع، ومما يدل على ذلك قوله: " الإمامُ المُطَّلبي الشَّافعيْ زِمَامُ مَطْلبي الشافِ عيْ" [٣]، ويفهم من هذه الحكمة، توجيه مضمر إلى اتباع مذهب الإمام الشافعي، وتقليده في مسائل الاجتهاد، وتفضيل مذهبه على المذاهب الأخرى، ويؤكد ذلك قوله: " جانبْ أهلَ البِدَعِ، وأَهلَ الارتِيابِ دَعْ. تَمَذْهَبْ بمذهب الأَشْعَرِيِّ، فهو من شوائبِ البِدَع عَرِيٌّ.).فقهُ أحمد بنِ إدريس مؤسَّسٌ أيَّ تأسيسٍ. الشَّافعي بالتّقدم أَوْلى وأَحْرى، وَقِدْماً قد قيل صَاحِبُ البيتِ أَدْرَى" [٤] . ولا يخفى هنا تفضيل الإمام الشافعي، وتقليده في الاجتهاد، كما لا يخفى أيضاً فاعلية المذاهب الأخرى في الحياة كمذهب مالك وأبي حنيفة وابن حنبل، وربما كانت البيئة

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص١٦٨,١٦٩
(٢) السابق،: ص ١٧٠
(٣) السابق، ص١٦٩
(٤) السابق: ص ١٧١

التي قدم إليها – أعني بيئة الحجاز – تختلف عن بيئة مصر التي قدم منها السيوطي في مسألة التقليد، وخاصة أن الحجاز تضم المسجد الحرام والمسجد النبوي، وفيهما حلق علم تتسع لكل المذاهب المشهورة.

ومن مطالب بيئة العلماء؛ التحلي بآداب المجالسة، من احترام للعالم، ومعرفة منزلة الصديق، وسلامة القلب من أمراضه الفتاكة كالرياء والحقد والكراهية، وهذه الآداب مبثوثة في أثناء هذه الحكم، ومما يدل على بعض هذه الآداب قوله: "مِن العَذَابِ صحبةُ المرءِ غيرَ جِنْسِهْ، وَمِن الرَّدى اتِّباعُهُ هَوَى نَفْسِهِ... رُبَّ سَحَابةٍ تُرْدِي بالعذابِ الأليم، وصحابةٍ تُعْدي القلبَ السَّليمْ." (١)، وغير ذلك من المطالب التي تتكرر في هذه الحِكم والتي تتأكد في حق أهل هذه البيئة، وإن جازت التسمية لهذا المؤلف فمن الممكن أن يُطلق عليه دستور أهل العلم، أو المرشد لتعاليم هذه البيئة.

وإذا صوّر المؤلف بيئة أهل العلم تصويراً دقيقا؛ فهل استطاع أن يصور غيرها من البيئات بالدقة نفسها؛ كبيئة العامة، وأهل الفلسفة؟

إن الاتكاء على إبراز هذه البيئة إبرازاً دقيقاً، وكتابة دستور لأهلها، شغل المؤلف عن التصوير الدقيق للبيئات الأخرى، بل وقف منها موقفاً معادياً، واعتمد لبيان هذا الموقف على أسلوب الأمر والنهي والزجر: " إيَّاك والمَنْطِقَ فهو آفةُ الْقَلْبِ والمَنْطق. صُنْ المَنْطِقَ والكَلاَمَ عن المَنْطِق والكَلاَمِ"(٢) . بل ربما لجأ إلى الحكم القطعي في حديثه عن البيئات الأخرى، كحديثه عن العامة بقوله: " ما للعَوام غَيرُ السَّيْفِ، ولو أَصَابَهُم الحَيفُ.

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص ١٧٠، ١٧١
(٢) السابق: ص ١٦٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الْعَوَامُ كالأنعام، بل أَضَلُّ وأَجْحَدُ للإِنْعَامِ" (١) . ومن هنا يمكن أن يُلتمس له عذر إن كان خطابه بأسلوب آخر غير أسلوب الحكمة، أو كان أسلوبه خاص بعصر دون آخر، وذلك ما لا يتفق مع أسلوب الحكمة الذي يتميز بخاصية السيرورة في الأجيال وعبر الأزمان. " إن المتكلم عندما ينهج نهج التعبير بالحكم والأمثال، يسعى إلى تحويل أحكامه الفردية إلى قيم ومطالب جماعية مشتركة تستمد قوتها من إجماع البشر عليها وتفضيلها وإحاطتها بأجواء القداسة والجلال في عصرها وفي سائر العصور..." (٢) ، ولعل الإجماع يتعسر هنا لأجل الجوانب المضيئة التي تُرك ذكرها في هذه البيئات.

٢. القيم

جاءت هذه الحكم مطعمة ببعض القيم التي حث عليها الإسلام، ووصى بها، وهي قيم كثيرة لا يمكن حصرها، وورودها في عبارات محكمة يسهم في انتشارها واستمرارية مفعولها عبر الأجيال.

و من أهم هذه القيم، بذل الجميل، وإسداء الإحسان طلباً لما عند الله تعالى، وعدم انتظار رد الجميل، يقول في ذلك: " رُبَّ امرئٍ أولَيْتَهُ جميلاً، فكان بالإساءَةِ لك حميلاً " (٣) .

ومن القيم أيضاً: اتقان فن السكوت، وفن الإيجاز في الكلام لما لهما من أثر على المتلقي؛ لأن الكلام الطويل ممل، والإكثار من الكلام كذلك ممل،

---

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص١٦٩

(٢) عبدالله البهلول، الوصايا الأدبية، ص٢٣٦

(٣) ينظر: درر الكلم، ص ١٦٨

يقول في ذلك: " رُبَّ ساكتٍ أعظمُ من ناطقٍ، وساكبٍ... رُبَّ مَوْعِظَةٍ مُنيْـرَةٍ في أَحْرُفٍ يَسَيرةٍ" (١) .

ومن القيم أيضاً: الوفاء وقد وردت مقترنة بالصاحب، وهو أحق بالوفاء، وألصق به، يقول في ذلك: " حَبَّذا الصَّاحِبُ ذو الصَّفاءِ السَّاحِبُ ذيلَ الوفاءِ" (٢) ، ويكاد يكون الوفاء هو الخصلة الوحيدة التي تميز الصاحب عن غيره.

ومن القيم أيضاً: الابتسامة والصفاء الذي يتبدى في الظاهر قبل الباطن، وكأن الابتسامة عنوان الوجه المشرق، الذي يكشف عن قلب أكثر إشراقاً، يقول في ذلك: " اللِّقاءُ بوجه مُشْرق خيرٌ من القِرى بوجه فَرِقٍ" (٣). وإشراقة الوجه لا تتميز إلا من خلال الابتسامة .

ومن القيم أيضاً: التحذير من الظلم، الذي تظلم به النفوس وينتشر الظلام بسببه في الأماكن، وخاصة ظلم الضعيف. يقول في ذلك: " مَن يَظْلِم الضَّعيفَ المَهينَ، يَذُقْ أَشدَّ العَذَابِ المُهين" (٤)

ولو قُرئ هذا المؤلف الوجيز قراءة بعد قراءة لتبدى الكثير من قيم الإسلام التي انماز بها عما سواه من الأديان.

---

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص ١٦٩ و١٧١
(٢) السابق: ص ص١٧٠
(٣) السابق: ص ١٧٠
(٤) السابق: ص ١٧٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣. المعارف والعلوم.

وردت معارف كثيرة، وعلوم شتى في هذا المؤلف الوجيز، ولعل حرص المؤلف على ذكرها ناجم عن سببين، أولهما: أنها علوم لا غنى لدارس عنها، كعلم العربية، وخاصة دارس علم الشريعة، وثانيهما: منع اللبس بين اليقيني والظني من العلوم، فعلوم الشريعة تثبّت اليقين، وتبرهن عليه، وتدعمه، بخلاف علوم الفلسفة التي تتكئ على العقل كثيراً، ولذلك ربما ساهمت بشكل أو بآخر بزعزعة اليقين في قلوب الناس، ومنهم دارسي علم الشريعة.

ومن هذه المعارف والعلوم علم الشريعة، وهو في نظره أولى العلوم بالتقديم؛ لخدمتها القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد وردت علوم الشريعة في حكَم متعددة منها ما يفيد المعنى العام، ومنها ما يفيد المعنى الخاص، أي يحدد مجالاً من مجالات علم الشريعة.

ومن ذلك قوله: " عليك بِعِلْمِ الشَّريعةِ فإنَّهُ إلى اللَّه أَقْوَى الذّريعةِ... عِلْمُ الدَّين أَزْهى وأَزْهَرُ... عُلَمَاءُ الشَّريعة فَوْقَ الأَعْلامِ... علماءُ الشَّريعةِ هدايةُ العَالمِ كالنُّجوم" (١) . وكذلك جاء المعنى العام لعلم الشريعة على صيغة المدح والذم، يقول في ذلك: "قَبَّحَ اللّهُ مَنْ جَهِلَ العلومَ المُشرَّفةَ... . نِعْمَ أَخو الْعِلْمِ والحِلْمِ في حالتي الحَرْبِ والسَّلْمِ" (٢).

أما المعنى الخاص لعلم الشريعة، فقد ورد في سياق تفضيل المذاهب الفقهية من جهة، والمذاهب العقائدية من جهة أخرى، يقول في ذلك: "

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص ١٦٨، ١٦٩
(٢) السابق: ص ١٦٩ – ١٧١

الإمامُ المُطَّلبي الشَّافعيْ زِمَامُ مَطْلبي الشافِ عيْ ... جانبْ أهلَ البِدَعِ، وأَهلَ الارتِيابِ دَعْ. تَمَذْهَبْ بمذهب الأَشْعَرِيِّ، فهو من شوائبِ البِدَع عَرِيٌّ. فقهُ أحمد بنِ إدريس مؤسَّسٌ أيَّ تأسيسٍ. الشَّافعي بالتّقدم أَوْلى وأَحْرى" (١) .

ومن المعارف والعلوم التي وردت في درر الكلم علم العربية، والفنون الأدبية ومن ذلك قوله: " خُضْ في عِلْمِ العربية، والفنونِ الأَدبيَّةِ " (٢)، ولعل الإشارة العابرة إلى علم العربية، والفنون الأدبية جاء بوصفه رافداً مهماً من الروافد التي لا غنى لدارس الشريعة عنها، ومن الممكن أيضاً أن يكون مجيؤه بوصفه أداة عقلية تغني عن بعض جوانب المنطق، وبما في فنونه الأدبية من سلوة، تبعث في نفس المتلقي ارتياحاً، ومن الممكن أيضاً أن يكون من باب الترويح؛ لأن لخروج من فن إلى آخر لا يصيب المتعلم بالملل.

ومن المعارف والعلوم أيضاً، علم المنطق أو الفلسفة، وقد جاءت هنا لأجل المقارنة بينه وبين علم الشريعة في الفضل والتقدم. وجاءت الإشارة إليها بوصفها علم للمنطق تارة، وعلم للكلام تارة، وعلم للفلسفة تارة أخرى، ومن ذلك قوله : " إيَّاك والمَنْطِقَ فهو آفةُ الْقَلْبِ والمَنْطق. صُنْ المَنْطِقَ والكَلاَمَ عن المَنْطِقِ والكَلاَمِ. فِرَّ من الكَلاَم فرَارَك مِنْ الأسَد... وَقُدَماءُ الفلاسفةِ تَحْتَ الأَقْدَام. علماءُ الشَّريعةِ هدايةُ العَالمِ كالنُّجوم، وحكماءُ الفلاسفةِ غوايةٌ لها العَالَمُ رجَومٌ. قَبَّحَ اللّهُ مَنْ جَهِلَ العلومَ المُشرَّفةَ، وَتَمثَّل بِعُلُومِ الفلسفةِ. مَنْ تَروَّى بِعُلُومِ الفَلْسَفةِ وَجَبَ هَجْرُهُ، وَمَن تَصَدَّى لأُسّ السَّفَهِ وَجَبَ أجْرُهُ. مَنْ تحلَّم بالشَّريعةِ فعارضهُ مَسْجُوم، وَمَنْ تكلَّم بالفلسفةِ

(١) درر الكلم وغرر الحكم : ص ١٦٩- ١٧١
(٢) السابق: ص ١٦٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فِلسانُهُ مَلْجُوم" [١] . إنه الموقف المتشدد من علم الفلسفة والمنطق، بل الموقف العنيف والمعادي لهذا العلم، ومما يُحسن تكراره هنا، أن موقف المؤلف من العلوم الأخرى غير علوم الشريعة، جاء لأجل المقارنة كعلم الفلسفة، أو المساندة كعلم العربية.

ومن المعارف والعلوم التي أشار إليها المؤلف إشارة سريعة، لا على سبيل المساندة أو المقارنة، علم الأخبار، وذلك في قوله: "خَيرُ الكَلاَم كلامُ الأخيار، وَخَيرُ العلماء عَالمُ الأخبار " [٢] . ولعل الذي دفع المؤلف لهذه الإشارة هو المحافظة على قيمة الازدواج، والجناس بين (الأخيار والأخبار)؛ لإن موقفه المتكرر في هذه الحِكم من العلوم والعلماء، يميل إلى تفضيل علم الشريعة وعلمائها.

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص ١٦٨، ١٦٩
(٢) السابق: ص ١٧٠

ثالثاً: التشكيل

إذا كان جمع من العلماء يثمن دور الحكمة التربوي، ويرى أنها تسهم في تهذيب الأخلاق، وتقويم الأجيال كما سبقت الإشارة إليه؛ " فإننا نجد، في المقابل، فريقاً آخر من المفكرين والنقاد يعتبر أدب الأمثال والحكم أدباً مضراً يقيد النفس بالمتعارف عليه، ويشدها إلى صيغ مصنوعة وأفكار سابقة من شأنها أن تسلب العقول توقها إلى الآفاق المجهولة فلا تكشف المرامي البعيدة، وإنما تكتفي بالسير في المسالك المعبدة وتظل أبداً تقتفي مواطئ أقدام الأولين..." [١] . ولعل السؤال الذي يتناسب مع هذا المقام يتشكل من فقرتين الأولى تنتمي إلى تأثر المؤلف وتأثيره، والثانية تنتمي إلى تأثر المتلقي بالنص الأدبي. وبما أن درر الكلم يميل إلى الصناعة اللفظية، أو بعبارة أخرى يميل إلى قولبة المعاني؛ فإن من حق الدارس أن يستنطق النص ليرى أبعاد الصناعة ومدى تأثرها وتأثيرها؛ لأن السيوطي كما هو معلوم أحد أعلام مدرسة النثر المقفى، وهذا رافد آخر يساعد في استنطاق النص ومحاورته [٢] .

والقراءة الأولى لدرر الكلم وغرر الحكم تكشف شيئاً من الصناعة اللفظية، وإن كان الأهم من ذلك هو الخيوط المبثوثة في النص التي توحي بنفَس تقليدي، اتكأ عليه السيوطي أو حاول محاكاة سابقة، ولعل المقدمة التي ساقها في صدر حكمه خير دليل على ذلك حيث يقول فيها: " نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ على جُودِكَ الشَّاملِ للوجودِ، ونُصلِّي على نبيِّك سيِّدِنا مُحَمَّدٍ المحمودِ،

(١) عبدالله البهلول، الوصايا الأدبية، ص٢٣٧
(٢) ينظر : درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَنُثْني عَلَيْكَ لِمَا أَلْهَمْتَ من دُرَر الكَلِمِ، وغُـرَرِ الحِكَـمِ، النَّاطقـةِ بِمَـواعِظَ كالسَّيْفِ الباترِ، الفائقة لواقِطَ المُزْنِ الهَامِرِ. ولَدَّتُها مـن الأخبـارِ السُّـنِّيَّةِ، والآثارِ السَّنِيَّةِ، وأَتْحفْتُ بها كُلَّ سَلِيمِ الفِطْرَةِ، وَصَدَعْتُ بها كُلَّ قَلْبٍ كصـميمِ الصَّخْرَةِ. فَتَحَ اللَّهُ بها آذاناً صُمَّاً، وَقُلُوباً بُكْمَاً، ووَفّقَنَا لِلْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ وَرَزَقَنَـا ما نؤمِّلُهُ مِن جَنَّتِهِ " [١] . وعند المقارنة بين هذه المقدمة ومقدمـة نوابـغ الكلم للإمام الزمخشري يمكن للمتأمل أن يرى بعض التوافـق فـي سـوق المعاني والأفكار، وهذا يؤكد اطلاع السيوطي على حِكم الزمخشري وتـأثره بها، حيث يقول الزمخشري في مقدمة نوابغ الكلم: "اللهُمَّ إنَّ مما منحتني من النَّعمِ السَّوابِغِ إلهام هذه الْكَلِمِ النَّوَابِغِ ناطقة بكلِّ زاجرةٍ موعظةٍ حاثةً علـى كلِّ عبرةٍ موقظةٍ كأني ألقنُ بها مجلة لقْمانَ وأَصِفُ بها حكمة آصف سليمان ولكن ثم آذان عن سماع الحق مشدودةٌ وأذهانٌ عن تدبره مصدودةٌ ونـاسٌ لهم مضجع عن الغفلةِ ممهودٌ، يقل في أجفانهم السهود كأنهم فهودٌ فَهَبَّ لها من يرغب في الآداب السنية السُّنوية والعظات الحسـنة الْحَسِـنَّية وتهتـز للتزين لما حيكَ من وشيها وصيغَ من حُليها، وَخُذْ بأيدينا إلي كسبِ ما نحب ونرضى ووفقنا لمداواة هذه القلوبِ المرضى إنَّـك أقـرب قريـبٍ وأجـوب مجيب..." [٢]

ومن العبارات المتشابهات قول السيوطي : " لِمَا أَلْهَمْتَ من دُرَر الكَلِمِ، وغُرَرِ الحِكَمِ" وقول الزمخشري: "اللهُمَّ إنَّ مما منحتني من الَّـنَعمِ السَّـوابِغِ إلهام هذه الْكَلِمِ النَّوَابِغِ "، ومنها أيضاً قول السيوطي : " النَّاطقـةِ بِمَـواعِظَ

(١) درر الكلم وغرر الحكم : ص١٦٨

(٢) فيصل بن مفتاح الحداد، تحقيق نوابغ الكلم للزمخشري، (جامعة قابوس كلية الآداب، قسم اللغة العربية)، مرجع إلكتروني، ص٤-٥

كالسَّيْفِ الباترِ"، وقول الزمخشري: " ناطقة بكلِّ زاجرةٍ موعظةٍ حاثةً على كلِّ عبرةٍ موقظةٍ " ومنها أيضاً قول السيوطي:" فَتَحَ اللَّهُ بها آذاناً صُمَّاً، وَقُلُوباً بُكْمَاً" وقول الزمخشري: " ولكن ثم آذان عن سماع الحق مشدودةٌ وأذهانٌ عن تدبره مصدودةٌ"، ولو تأمل الدارس الدعاء الذي خَتَم به كل منهما مقدمته لوجد التشابه أيضاً. وهذا التشابه وارد كذلك في الألفاظ مثل : السَّنِيَّة والسُّنِيَّة، ومواعظ ، وغيرها مع تحوير يسير في الأساليب. إذن فالسيوطي اطلع على نوابغ الكلم وقرأها، وتأثر بها، ومن ثم جعلها مثله الأعلى في الاقتداء، وخير ما يبرهن على ذلك هذا التشابه الدقيق في المقدمتين اللتين جاءتا مفتاحاً للحكم بعدهما.

وهل يعد تأثر السيوطي بالزمخشري قيداً مانعاً عن الإبداع؟ وهل هو اجترار لأفكار سابقة فقط؟ أم هو حافز للإبداع، ومعين على التجديد؟ لا يمكن الإجابة على هذه الأسئلة بدقة وموضوعية؛ لأن السيوطي استطاع أن يعبر عما يعتلج في صدره، وأن يصور بيئة العلماء تصويراً دقيقاً، وأن يأتي ببعض الحكم النافعة ذات الجرس الموسيقي الموحي، مع الاعتراف بأثر السابقين عليه. ومن المقبول هنا القول أنه باستطاعة السيوطي أن يأتي بأجود مما أتى به لو استطاع أن يتحرر قدر الإمكان من اتباع السابقين كالزمخشري في مجال الإبداع الفني، ولكن ثقافة العصر وميوله كان لها عظيم الأثر في نهجه هذا، خاصة أنه قلد فن المقامات التي اهتمت بالصناعة والزخرف، وهذا دليل على تمكن فن المحاكاة والتقليد من نفسه، ومن عصره أيضاً.

ودراسة التشكيل تنبثق من انعطافات اللغة حيناً، ومن تكثيفها حيناً، ومن الميل إلى التصوير والإيقاع حيناً، ومن تفضيل أسلوب على أسلوب،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن ذكر ما يغني عن الحذف، وكل ذلك يتعاضد معاً، ويسير جنباً لجنب؛ لتشكيل ذات المبدع، أو لمقاربة هذه الذات. ويمكن إضاءة ذلك من خلال الإشارات الموجزة الآتية.

١- اللغة.

اللغة الإبداعية تختلف عن غيرها بنسقها المختلف، وبمفردتها المختارة، وهي لذلك الرابط الأهم بين النص وبين المتلقي، وتعتبر تأشيرة الدخول إلى فضاءات النص المختلفة، وهي المفتاح للتلقي والقراءة في مختلف المستويات [١]، ولهذا تميزت هذه اللغة عن غيرها، أو وجب عليها أن تكون كذلك.

والمعجم الذي تتكون منه مادة اللغة الإبداعية يعين على الاقتراب من ذات المبدع، ومن اكتشاف أفكاره، واستخراج ما يؤمن به ويحث عليه. وإذا كان السيوطي من بيئة العلماء؛ فإن المعجم الذي وظّفه هنا جاء مفسّراً لحيثيات هذه البيئة، كاشفاً عن مطالبها، مبرهناً على أهمية العلم والتعلم والعلماء، ولو تتبعنا مفردة (العلم) ومشتقاتها في هذه الحكم لتبين جلياً مدى سيطرتها على ذات المبدع؛ انظر إلى هذه التراكيب لتتبين ذلك " علم الشريعة، علم العربية، عالم وأعلم، رب عالم، على عالم، بعلم عالم، علماء الشريعة، العلوم المشرفة، علوم الفلسفة، علَم طاهر، لسان العالِم، حسب العالم، علمه غير صحيح، خير العلماء عالم الأخبار، عالم لم يوف حقه، أعداؤهم العلماء، أخو العلم...) هيمنة العلم واضحة على ذات المؤلف،

(١) ينظر: محمد بلوحي، بنية الخطاب الشعري الجاهلي في ضوء النقد العربي المعاصر بحث في تجليات المقاربة النسقية، ، (منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ت ٢٠٠٩م)، ص٦٨.

ولذلك تنقّل بين حكمه والعلم وبيئة العلماء حاضرة في ذهنه. ومما يؤكد ذلك ألفاظ الدين والشريعة التي توشحت بها حكمه، وجاءت بوصفها دالاً على انتماء المؤلف لهذه البيئة، حريص على اتساع أتباعها، ومسكون بواجب البلاغ والتبليغ، ومن هذه الألفاظ " السنية، التقوى، الكتاب، السنة، الشريعة، الدين، المعروف، الحسنات، خطيب، واعظ، القضاء، الحق، نهي، أمر، خير، شر، رحمة، اليوم الآخر،، سنة أحمد، مذهب، الشافعي، موعظة..." إذن هذه الألفاظ تنتمي إلى حقل الدين والشريعة، وتوحي بأن المؤلف منغمس في هذا الحقل، وربما يعتبر ذاته السان المبرز له، والمدافع عنه في آن.

وإذا كان العلم وما يدور في فلكه قد ملك ذات السيوطي، واكتسى بحكمه؛ فإن الآخر قد وُظِّف هنا بوصفه أحد الروافد المهمة التي تبرز العلم، وتبين مكانة أهله. والآخر في حكم السيوطي جاء مختلفاً، فمرة يستخدم نقيض العلم الشرعي، فيأتي بألفاظ المنطق والفلسفة وعلم الكلام، وربما يندرج تحت النقيض لفظ العامي الذي ورد مرتين في سياق الهجوم.

ومفردة الصديق تكررت في هذا المؤلف، في سياق التحذير والتحبيب، وكأن سياق التحذير يشير إلى ما قد يصيب بيئة العلماء من التحاسد والتباغض" ليحذر المرء صديقه"، وكذلك كأن سياق التحبيب جاء ليبرهن على أن الصديق الصدوق لا تخلو منه هذه البيئة " نعم الرفيق الصديق الصّديق"، " وافق صديقك في نهيه وأمره".

أمّا الرافد الأهم لتشكيل بيئة العلماء، وإبانة ماهيتها، فيكمن في الاتجاه نحو الطبيعة، حيث استطاع المؤلف أن يحيي هذه الطبيعة ويجعلها أداة فاعلة في الوصول إلى مراده، ومن المفردات التي تدل على ذلك " السيف الباتر، المزن الماهر، الأسنة، الأسد، الذباب، الغزالة، النجوم، الأنعام، الدر،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشذا، نجم زاهر، بدر باهر، بحر زاخر، سيف باتر، حلي فاخر، ليث بـاقر، غيث هامر، جواد ماهر، روض ناضر، سحابة، الصدف، الدرة الثمينـة...". الحكمة هنا اختلطت بالطبيعة والتصقت بها، وهذا الاختلاط يكشـف انتـزاع المضامين من الواقع الذي عاش فيه المؤلف، وخالط فيه أجنـاس النـاس المختلفة.

والمتأمل لِدُرر الكلم يجد المؤلف قد اتكأ على بعض الأسـاليب التـي شكلت هذه الحكم ومن أهم هذه الأساليب .

١) **أسلوب (رُب)**.

وهو أسلوب صدر به السيوطي كثيراً مـن حكمـه، وقـد ورد هـذا الأسلوب خمس عشرة مرة صريحاً، وربما مثلها مضمراً، ورُب من الحروف التي تفيد التقليل والتكثير، وإن جاءت مفيدة للتكثير هنا لتتناسب مع المقـام الذي وردت فيه. وقد يلجأ المبدع في توظيف رب؛ لإبداع عالم فنـي تؤكـد رب احتماليته، وتنفي أن يكون محاكاة للواقع [١]. ومن ذلـك علـى سـبيل المثال: "رُبَّ ساكتٍ أعظمُ من ناطقٍ، وساكبٍ لَيْسَ لـه بـارقٌ" [٢]. وتجـدر الإشارة إلى وجود أسلوب شبيه بهذا الأسلوب هو أسلوب كم الخبرية؛ ولكن استخدامه هنا أقل من أسلوب رُبّ، ومن ذلك : "كَمْ في النَّاس مـن جاحِـدٍ للمعروف ناسٍ" [٣]، وتكرار أسلوب ما يسهم في ترسيخ الأمـر " إذ يـوفر

(١) ينظر: نوال مصطفى إبراهيم ،الليل في الشعر الجاهلي، ،(دار اليازوري، عمان الأردن، ت ٢٠٠٩م.)، ص ٢٠٢.

(٢) ينظر: درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٩

(٣) ينظر: السابق، ص ١٦٩

طاقة إضافية لإحداث الأثر المرغوب في المتلقي؛ يساعد أولاً على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانياً على ترسيخ الرأي والفكرة في الأذهان..." (١)

٢) أسلوبا الأمر والنهي.

الأمر والنهي من الأساليب الإنشائية الطلبية في البلاغة العربية، ويستخدمان لطلب الفعل، وطلب الترك، وهما أسلوبان يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين (٢)، وقد جاء الأمر هنا أكثر من النهي حيث تكرر أسلوب الأمر تسع مرات، بينما ورد أسلوب النهي مرتين. ومن أمثلة ذلك: " خُضْ في عِلْمِ العربية، والفنونِ الأَدبيَّةِ. إيَّاك والمَنْطِقَ فهو آفةُ الْقَلْبِ والمَنْطق" (٣)

٣) أسلوب الشرط.

تبرز أهمية هذا الأسلوب باعتباره ينم عن قيمة الموضوع، وخبرة مستخدمه، وربط الأحداث بعضها ببعض، وهو تركيب ينعقد بين طرفين يكون حصول الثاني مشروطاً بحصول الأول، ولا بد من أداة خاصة بين الطرفين تسمى أداة الشرط (٤).

وقد شاع توظيف الشرط في أثناء هذه الحكم، ومن الطريف في توظيف أسلوب الشرط هنا أن المؤلف قدم النتيجة على السبب وعلى الأداة

---

(١) عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، (عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ت٢٠١٢)، ص ١٥٠

(٢) ينظر : السابق، ص١٥١، ١٥٢

(٣) درر الكلم، ص١٦٨

(٤) ينظر: الحجاج في البلاغة النبوية، ص ١٥٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في موضعين، وكان لهذا الاستخدام وقعاً مغايراً ينم عن خبرة السيوطي في السيطرة على المتلقي، وشد انتباهه، حيث يقول: " فَازَ مَنْ تبوَّأ من التَّقْوَى نُزْلَه، وحاز الرَّاحةَ مَنْ تَبَّوأ العُزلة" (١)، إذ الأصل في الاستخدام أن يقول من تبوأ من التقوى نزله فاز، ومن تبوأ العزلة حاز الراحة، ولكنه قدم وأخر فأحدث بهذا التقديم والتأخير ارتياحاً لدى المتلقي، وخالف السائد؛ ليؤكد على أهمية هذا المدخل الذي نفذ من خلاله إلى باقي حكمه، وكأنه مشغول بفوز المتلقي، وراحته.

٤) (**ألا**) **التنبيهية**.

أسلوب التنبيه الكامن في (ألاَ) يأخذ سمع المتلقي ويشد انتباهه واهتمامه من جهة، ومن جهة أخرى يكسب النص جمالاً ورونقاً، فضلاً عما يحمله من انفعالات، ويختزله من أفكار (٢). وهذا الأسلوب لم يرد إلا مرة واحدة هنا، ولكنه جاء فاعلاً؛ لأنه انصب في الموضوع الرئيس الذي يعالجه السيوطي _ أعني موضوع العلم والعلماء _، وكذلك لوروده متأخراً في آخر هذه الحكم، مما يدل على حرص السيوطي على المتلقي، وعدم إصابته بالملل والسأم من توالي الحكم، حيث يقول: " أَلا أُخْبِرُكم بأَعظمِ المشقَّةِ عَالِمٌ لم يُوفَّ حَقَّهُ" (٣). وفي هذا التنبيه توجيه خفي إلى بعض المطالب التي ينبغي أن يتحلى بها العالم؛ ليواجه بها قسوة الواقع بأريحية تامة.

---

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٨

(٢) ينظر: بنية الخطاب الشعري، ص٨٩، ٩٠

(٣) درر الكلم وغرر الحكم، ص ١٧٠

٢- الصورة الفنية

إن الحالة النفسية التي يمر بها الأديب تؤثر في رؤيته، فتأتي صوره الفنية عاكسة لما يدور في داخله، ولا يستغني الأديب عن الخيال في إبراز الأفكار والعواطف؛ لأن الصورة كما قيل مولود الخيال. (١) وعواطف الأديب وأفكاره التي تخرج في شكل فني هي بلا شك تمثل الموقف من الكون والحياة، إذْ إن " أي تشكيل للصورة عند أي شاعر يرتد دائماً إلى حركة داخلية منظمة هي رؤيا الشاعر الخاصة نحو الكون والحياة"(٢). والسيوطي في هذه الحكم كالشاعر في استنطاق الحياة، وإثبات رؤيته تجاهها.

وقد جاءت الصور الفنية في حكم السيوطي متنوعة بين التشبيهية والاستعارية والكنائية، والتقريرية. والمتأمل يرى أن التوظيف البياني للصورة الفنية _ أعني التشبيه والاستعارة والكناية_ جاء مباشراً تقليدياً معتمداً على صور التراث التي تشكلت لدى السابقين من الأدباء، أو جاءت صريحة في الذكر الحكيم والسنة النبوية، ومن ذلك على سبيل المثال، قوله:" علماءُ الشَّريعةِ هدايةُ العَالمِ كالنُّجوم، وحكماءُ الفلاسفةِ غوايةٌ لها العَالَمُ رجَومٌ" (٣)

---

(١) ينظر: نصرت عبد الرحمن الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، (مكتبة الأقصى، عمان)، ص٩

(٢) عبد القادر الرباعي الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، (دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية)، ت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص٢٠٥.

(٣) درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالتشبيه بالنجوم تشبيه تقليدي لا يخلو منه عصر من العصور، وكذلك الاستعارة في الجزء الثاني (لها العالم رجوم) انبثقت من التشبيه بالنجوم، ولربما كان للجناس أثر في استدعائها وتوظيفها. ومثل هذا التشبيه، تشبيه اللسان بالسنان، وقد جاء تشبيهاً بليغاً حيث يقول" لِسَانُ العَالِمِ سنانٌ في المَلاَحِمِ" (١) . وهو تشبيه تقليدي موروث. وكذلك الحال بالنسبة للكناية لم تخرج عن نطاق الموروث في ما بدا لي، انظر إلى قوله: " اعْضُضْ على الحقِّ بناجذيك" كناية على التمسك بالدين زمن الفتن، ويستحضر المتلقي مباشرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ".

والذي يظهر أن الصورة التقريرية قد وُظفت أحسن توظيف في هذه الحكم، وكشفت عن عمق الأثر، وقوة المعنى في آن، وأعني بها الصورة التي لا تحوي تشبيهاً أو مجازاً، وإنما يتكئ الأديب فيها على التعبير المباشر بالألفاظ المجردة التي تجسم المعنى الذي اختاره لإبراز تجربتهالفنية(٢). ومما يبرهن على هذه الصورة – الصورة التقريرية– قول السيوطي: "قبَّح اللّهُ زماناً تضيعُ فيه الفضائلُ، ويضوع فيه شذا الرذائلِ . ربَّ علَم طَاهر، ونجمٍ زاهرٍ، وبدرٍ باهرٍ، وبحرٍ زاخرٍ، وسيف باترٍ، وحَلْيٍّ فاخرٍ، وليثٍ باقرٍ،

(١) درر الكلم وغرر الحكم : ص ١٧٠

(٢) ينظر: نصرت عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ص٩. وقد يطلق عليها البعض الصورة الحقيقية، كما هو عند الدكتور/ زيد بن محمد الجهني في كتابه الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية، الجامعة الإسلامية، ت ١٤٢٥هـ ، ص١٧٣.

وغيثٍ هامرٍ، وجوادٍ ماهرٍ، وروضٍ ناضرٍ ، ومثلٍ سائرٍ، يُظَلَمُ فلا يجِدُ له من ناصر" (١) .

إن المتلقي يتخيل زمناً انفرط فيه عقد الفضائل، وتساقطت دعائمه واحدة واحدة، فتبدّى زمناً شاحباً، لا يتصالح مع المبادئ الكبرى التي ترعرعت فيه، ونشأت على أرضه، وأنارت زواياه؛ حتى الشذى لم يعد يعرف طريق الأزهار التي اعتادها، فسلك طريقاً غير طريقه، فصار من أعوان الشر، وتحاشاه الناس بعد أن كانوا يطلبونه. هذه الصورة التي امتزجت بالواقع ذات وقع على المتلقي، استحضر فيها الأزهار وشذاها، وإذا بها تتحول فجأءة إلى غير المعهود، وتكون أذى، وكأن المجتمع يغلق أبوابه في طريقها. هذه الصورة الحسية استطاعت أن تنقل انفعال الملقي، وتحظى بقبول السامع، ومما زاد بهاءها وديمومة أثرها انطلاقها من بيئة المبدع، حيث تلت هذه الحكمة حكمة أخرى طالت كثيراً على خلاف العادة التي بنيت عليها حكم السيوطي، وجاءت بجرس متتال، وببنية متساوية، اختلطت بذات الأديب واختلط بها، وسارا معاً في طريق كشف الواقع القبيح الذي دنس العلم والعلماء، حتى غدى العلم الطاهر الذي تطيَّب بمجالس العلم، واستنشق شذاها، وسد بابه عن شذى الرذائل، لا يجد مكانة تليق به، وقد يقع عليه من الظلم والأذى ولا يلتفت له أحد، وهو من هو في العلم. ولإبراز مكانة هذا العلَم الطاهر الذي آذاه زمنه اتجه السيوطي كل اتجاه ليجد أمثالاً لهذا العَلم الطاهر، فنظر إلى النجم الزاهر، والبدر الباهر، والبحر الزاخر، والسيف الباتر، والحلي الفاخر، والليث الباقر، والغيث الهامر، والجواد الماهر، والروض الناظر، والمثل السائر. أي مكانة لهذه الأمثال! وأي جمال!

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص ١٦٩، ١٧٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إنها المكانة التي لا تُنكر، والجمال الذي لا يُستر، والحاجة التي لا غنى عنها. وكأن في تعداد هذه الأمثال سلوة لأهل هذه البيئة – بيئة العلماء – وتسرية عنهم، ولسان حاله يقول: أي جمال هذا الذي ينفر منه الواقع؛ ولأهمية العلم وسيطرته على ذاته اتجه عدة اتجاهات مقارناً بين الأمثال، حتى بدى للمتلقي أن السيوطي يتحدث عن نفسه، فهو العلم الطاهر والنجم الزاهر والبدر الباهر.

قد يقول معترض إن الجمال هنا جاء عن طريق الصورة الاستعارية، حيث استعار الشذى من الأزهار ونسبه إلى الرذائل، وليس عن طريق الصورة التقريرية التي زعمت! إن كان هناك أثر للصورة الاستعارية فإن أثر الصورة التقريرية الذي بدا جلياً يتأكد كذلك من خلال الاتصال الوثيق بين الحكمتين السابقتين، وإن شئت أن تتأكد من ذلك، فانظر إلى لفظة (طاهر) التي جاءت في قوله: (علم طاهر)، أليست ألصق باللفظة التي انتهت بها الحكمة الأولى (الرذائل)، وذلك يوحي بأن المجتمع بحاجة إلى طهارة لا يقوم بها إلا أهل العلم. وحِكَم السيوطي تنطلق من هذا المجال وتعود إليه.

٣- البناء

يمكن النظر إلى بناء الحكمة عند السيوطي من خلال عنصرين؛ هما بناء العبارة، وبناء النص.

بناء العبارة

الملاحَظ أن بناء العبارة في حكم السيوطي قائم على مستويات مختلفة، فمنها_ وهو الغالب_ ما كان قائماً على مقطعين متساويين يرتكزان على المزاوجة، وينتميان تارة إلى الجمل الإسمية، وتارة إلى الجمل الفعلية،

وتارة يأتيان على طريقة الشرط والجزاء، وقد يبدآن برُبَّ. والتوازي يكاد يكون سمة بارزة لهما، وقد ترد الواو فاصلة بين المقطعين، وقد ترد الفاء، وقد تخلو العبارة منهما، مثل قوله: " صِلة النَّاس ليس لها عائدٌ، وَمَعْرِفَتُهمُ نزرةُ الفوائد" (١) هنا الحكمة قائمة على مقطعين، وهي اسمية، والفاصل بين المقطعين الواو. وقوله: "فِرَّ من الكَلاَم فرَارَك مِنْ الأسَد، واسْلُك إلى اللَّهِ في الطَّريق الأسَدّ" (٢) . هنا الجملة فعلية والفاصل بين المقطعين الواو. وقوله: " تَمَذْهَبْ بمذهب الأَشْعَرِيِّ، فهو من شوائِبِ البِدَع عَرِيٌّ" (٣) الجملة فعلية والفاصل بين المقطعين الفاء، وقد جاءت الجملة الثانية بياناً عن الأولى ووصفاً لها.

ومن حكم السيوطي ما هو قائم على مستوى واحد، أي خرج عن جادة الأكثرية، مثل قوله: "لسان العالم سنان في الملاحم" (٤) المتلقي متهيء على سماع، ولسان الفيلسوف.. إلى آخره، ولعل في التنويع مراعاة للمتلقي. ومن ذلك أيضاً " رب موعظة منيرة في أحرف يسيرة" (٥). ولو تأمل متأمل لوجد مغزى من وراء الحذف؛ لأن لهذه الظاهرة – ظاهرة الحذف– سلطة على النفوس، وشد للأذهان، " وهو سحر لا يفطن إليه إلا الناظر نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل، ومن شأنه أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها" (٦).

---

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٨
(٢) السابق: ص١٦٨
(٣) السابق: ص١٧١
(٤) السابق: ص١٧٠
(٥) السابق: ص١٧١
(٦) عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية، ص١٣٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بناء النص.

إن " النصوص التي تتسم بتعدد موضوعاتها تغري قارئها بالبحث عن خيط ما يربط نسيجها، وهذا ما يدفعه إلى مزيد من التأمل في كل مقطع منها؛ سعياً إلى الوصول إلى ذلك المعنى الكلي الذي يوحد أطرافها" (١). ووجود بعض البِنى المنفصلة في حكم السيوطي تدفع القارئ إلى محاولة الربط بين هذه البِنى التي يظهر فيها الاختلاف، ابتداء بالمقدمة، فالموضوع، فالخاتمة، فالتوقيع. وإذا بدا السيوطي في حكمه بمنزلة الموجه والمربي، والقدوة كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ فإن المقدمة تكشف شيئاً من ذلك إذْ جاءت محملة "بالأنا" التي تبرهن على بلوغ السيوطي مرتبة عالية، فهو في مقام من يأمر وينهى، انظر لقوله في المقدمة " ولدتُها، وأتحفتُ بها، وصدعتُ بها" تجد الأنا حاضرة بقوة. والدعاء الذي جاء تالياً للمقدمة أضفى على ذلك مزيد بيان، وبرهن على ميوله، وكشف شيئاً عن مغزاه.

والولوج إلى عالم السيوطي في الحكمة يبدو من القراءة الأولى أنه عالم مجزّء، لكل جزء خصوصية، ولكل حكمة مغزى لا يتصل بما قبله وما بعده. والقراءة المتأملة توحي بخلاف ذلك، إذ تلتقي خيوطها، وتؤكد اتجاه الحكم إلى ساحة العلم والعلماء. وهذه الساحة التي ارتكزت عليها حكم السيوطي، هي الساحة التي ترعرع فيها، ونمى فيها، ويحاول من خلال الحكمة أن يضيء بعض جوانبها. والحكم التي تبدو منفصلة عن بيئة العلماء إما أن تعالج داء داخل هذه البيئة، كأمراض القلوب، وآداب

(١) عبدالله العضيبي، النص وإشكالية المعنى، (الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص١٤

الصداقة، أو تعالج داء خارج البيئة كمقارنتها بالبيئات الأخرى كبيئة العامة، وبيئة المتكلمين.

والذي يؤكد وحدة الحكم؛ الأحكام التي ترد بين الفينة وأختها، من أمر ونهي، وتحبيب وتبغيض. ويتأكد حضور الأنا من جديد في أثناء هذه الحكم انظر لقوله: " الإمام المطلبي الشافعي، زمام مطلبي الشاف عي". وكذلك عودة الدعاء مجدداً " ملأ الله طائرنا بالحسنات يوم العرض"، وهنا يظهر حرص السيوطي على المتلقي، إذ في التنويع ما يلفت الانتباه، ويجدد الذهن.

ومما يؤكد تماسك هذه الحكم وانسجامها ووحدتها، أنها جاءت في الغالب على نسق يكاد أن يكون واحداً، حيث جاءت كل حكمة على جزئين يكاد الجزء الثاني أن يكون نظيراً للجزء الأول، أو مفسراً له. ومما يلفت النظر أن حكمة واحدة جاءت مختلفة، إيقاعاً وطولاً وتركيباً، وهذه الحكمة تكاد تكون عِقد هذه الحكم، حيث احتلت المرتبة الخامسة والأربعين من حكم السيوطي التي بلغت ثمان وسبعين حكمة. وهذه الحكمة هي " ربَّ عَلَم ظَاهر، ونجمٍ زاهرٍ، وبدرٍ باهرٍ، وبحرٍ زاخرٍ، وسيف باترٍ، وحَلْيٍّ فاخرٍ، وليثٍ باقرٍ، وغيثٍ هامرٍ، وجوادٍ ماهرٍ، وروضٍ ناضرٍ ، ومثلٍ سائرٍ، يُظَلَمُ فلا يجدُ له من ناصر" [(١)]. وقد جاءت صورة جلية في بيان ما قد يواجهه العالم أو طالب العلم في طريق الطلب من مشاق. وقد ترمز هذه الصورة إلى السيوطي نفسه، وتوحي بما كان يطمح إليه من إمامة العصر.

والخاتمة جاءت خالية مما يشير إلى وحدة النص وترابطه، وكأنها وضعت هنا من باب التقليد المتعارف عليه. وأهم منها في هذا الصدد

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص ١٧٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التوقيع الأخير الذي يكشف شيئاً من حضور الأنا، وذلك في قوله: " وَضَعْتُ هذا التَّأليفَ النّفيسَ في يومِ الأَحدِ سادسِ ذي قعدةِ الحرام سَنَةَ تِسعٍ وستين وثمانمائةٍ، بمكة المُكرَّمَةِ شرَّفهَا اللّهُ" (١). وتحرير الزمان والمكان، وتحديد اليوم رافد مهم في تقريب النص، واستلهام بعض التأويلات، وتقريب بعض الخيوط إلى بعض. وفي التوقيع إشارة إلى حرص السيوطي على ذيوع حكمه وانتشارها بين الأجيال.

٤- المحسنات البديعية

إن الرغبة في الكشف عن المواهب الأدبية لدى السيوطي (٢) ، قد يكون له دور في توظيف البديع، والاهتمام به، والمزاوجة بين أنواعه في حكمه. ولا يخفى الأثر الذي تحدثه هذه الألوان البديعية لدى المتلقي، فالكلام يكسب طابع الإيقاع من خلال التوازي، والتكافؤ والتناظر الكلي أو الجزئي بين أجزاء العبارة (٣).

والنقطة الجوهرية في الإيقاع هي الاعتدال، والانسجام بين الأشياء، وانتظام الحركة بينها (٤). وذلك ما يمكن ملاحظته من التناوب بين أنواع البديع المختلفة من جناس وطباق ومقابلة، وهذه الأساليب وغيرها من

(١) درر الكلم وغرر الحكم: ص ١٧١
(٢) ينظر: السابق، ١٦٠
(٣) ينظر: فايز القيسي، جماليات خطاب النسوة في أحاديث ابن دريد، " حديث زبراء الكاهنة مع بني رئام أنموذجاً"، ١٧، ١٨
(٤) ينظر: مولود بغورة، أدبية الخطاب في المثل السائر لابن الأثير(رسالة دكتوراه من جامعة الجزائر، كلية الآداب، ت ٢٠٠٥-٢٠٠٦م)، ص٣٠١

أساليب البديع ليست للتحسين فقط؛ وإنما هي أساليب إبلاغ وتبليغ [١]. ولو تم النظر في كل المحسنات البديعية في حكم السيوطي لطال الحديث وتشعب، ولعل في الإشارة ما يغني عن التقصي والتتبع. وفيما يلي بيان أهم هذه المحسنات البديعية في حكم السيوطي، والتي كان لها الأثر في بناء العبارة وانسجامها.

١- الجناس

الجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافُهما في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً المختلفان معنى يسميان ركني الجناس. ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة. وينقسم الجناس إلى قسمين تام وغير تام، ومن العلماء من يسمي هذا الفن تجنيساً، ومن يسميه مجانساً، ومن يسميه جناساً، وسبب التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد [٢]. وتظهر في الجناس عناية موجهة إلى تردد الأصوات في الكلام وما يتبعه من إيقاع موسيقي تطرب له الآذان [٣]. ولا تكاد تخلو منه حكمة من حكم السيوطي. فمن أمثلة الجناس التام قوله:" إيَّاك والمَنْطِقَ فهو آفةُ الْقَلْبِ والمَنْطق. صُنْ المَنْطِقَ والكَلاَمَ عن المَنْطِقِ والكَلاَمِ" [٤] . انظر لقوله: "المنطق والمنطق" ولقوله: المنطق والكلام، والمنطق والكلام" والمنطق جاء بمعنى علم المنطق، وبمعنى ما ينطقه الإنسان، ومثله الكلام. ومن أمثلة

(١) ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص١٥٦
(٢) ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ، (دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د ت ط)، ص٦١٤,٦١٥.
(٣) ينظر: إبراهيم أنيس موسيقى الشعر، (مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ت١٩٥٢م)، ص٤٣
(٤) درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الجناس الناقص وهي كثيرة، قوله:" رُبَّ امرئٍ أولَيْتَهُ جميلاً، فكان بالإساَءَةِ لك حميلاً"(١)، الجناس بين " جميلا وحميلا".

٢- الطباق

الطباق هو الجمع بين الضدين أو الشيء وضده في الكلام أو بيت شعر، وقد يطلق عليه البعض المطابقة (٢) . وتبرز قيمة الطباق في جرسه الموسيقي بين الكلمة والكلمة، أو التركيب والتركيب؛ ولأنه يجمع الأضداد يظهر أثره في تنويع الجرس الموسيقي، بخلاف الجناس الذي يظهر أثره في وحدة الجرس الموسيقي (٣). ومن الأمثلة التي جاء بها السيوطي شاهدة على الطباق قوله: " أُفٍّ للدُّنيا تُقدِّمُ الجَاهِلَ، وتؤخِّرُ الفَاضِلَ" الطباق بين تقدم وتؤخر، وبين الجاهل والفاضل، وقد ساعد هذا التوظيف في إبراز المعنى وجلائه، وناسب تقديم الجاهل في الذكر بداية الحكمة " إف للدنيا"، وقد كان لهذا التقديم موقعاً حسناً من البناء والأثر.

٣- المقابلة

أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، وإن كانت تشبه الطباق في شيء إلا إنها تختلف عنه في كون الطباق بين ضد أو ضدين، والمقابلة بين أكثر من ضدين، ومن وظائفها أنها تمد المتلقي باحتمالات متعددة، حتى يتبينها، ويميز بينها، ومن ثَم يختار ما يوافق قناعته (٤).

---

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص١٦٨ .

(٢) ينظر: ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،(تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ٢/ ٥

(٣) ينظر: عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، (الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ٢/٣٠١.

(٤) ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص١٥٧

وقد استطاع السيوطي من خلال المقابلة أن يبرز بيئة العلماء ويقارن بينها، ويجعل المتلقي يتحسس مواطن الحسن والقبح في البيئات المختلفة، مثل قوله: " علماءُ الشَّريعةِ هدايةُ العَالمِ كالنُّجوم، وحكماءُ الفلاسفةِ غوايةٌ لها العَالَمُ رجَومٌ" (١) ، وقد جاء المقابلة بين علماء الشريعة وعلماء الفلاسفة، وأثر كل منها، وأبرت هذه المقابلة ما يريده السيوطي من إبراز أهل العلم على من سواهم، ومثل هذه المقابلة قوله: " رُبَّ شَاعرٍ نال ببيتٍ أَسْنى منزلةٍ، وماهرٍ في العلوم في بيتٍ لا يؤبه له" (٢) وكذلك جاءت هذه المقابلة لبيان المكانة التي ينبغي للمجتمع أن يمنحها العالم؛ لأنه الأولى في ذلك والأحق. وهذه المقابلة توحي كذلك بما يلاقيه العلماء من عدم الاهتمام الذي قد يجده غيرهم بجهد بسيط كجهد الشاعر في بيت واحد فقط.

وتجدر الإشارة هنا إلى التنبيه بين حسَن الصنعة وقبيحها ويكفي في ذلك قول زكي مبارك: " فالتأنق المُغْرب آفة، والتحرر المسرف آفة، والصواب أن تكون السيادة للمعنى وأن يكون له السلطان في فرض ما توجبه الألوان النفسية من مختلف الصور والأساليب" (٣). وحكم السيوطي لا تخلو من التكلف في بعض جوانبها وخير ما يمثل ذلك قوله: " جانبْ أهلَ البِدَعِ، وأَهلَ الارتِيابِ دَعْ" (٤) فما الداعي لتأخير الفعل (دع) سوى السجع، ولو قال دع أهل الارتياب لوقعت موقعاً حسناً.

---

(١) درر الكلم وغرر الحكم، ص ١٦٩

(٢) السابق: ص١٦٩

(٣) النثر الفني في القرن الرابع الهجري، (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط٢)ص١٠١

(٤) درر الكلم وغرر الحكم، ص ١٧١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رابعاً: الخاتمة

يعتبر درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي مؤلف وجيز في باب الحكمة على أرجح الاحتمالات، وهو بمثابة الدستور المنطقي لبيئة العلماء، التي ينتمي إليها السيوطي، ويرى نفسه موجهاً لها. وقد ظهرت فيه ملامح هذه البيئة، وما تتطلّبه ممن ينتمي إليها، وركزت حكم السيوطي على بعض القيم والمبادئ الكبرى التي حث عليها الإسلام، وأشارت كذلك إلى بعض العلوم المختلفة التي كانت حاضرة في عصر السيوطي، كعلم الفلسفة والعربية والاجتماع والأخبار. وقد بدا جلياً انتصار السيوطي للعلم الشرعي، وتقبيحه لعلم الفلسفة. ويظهر من خلال المعجم المتبع في صناعة هذه الحكم مدى تعمق السيوطي في بيئة العلماء، وارتباطه بها، ودفاعه عنها، واستخدام الألفاظ الدالة عليها كالشريعة والسنة والإيمان، وغيرها، وقد وظّف الطبيعة بكافة أشكالها في بناء حكمته، واتكأ على بعض الأساليب التي كان لها دور في التأثير والبناء كأسلوب رب، والأمر والنهي، والشرط، وألَا التنبيهية. وقد جاءت الصورة الفنية لدية ممزوجة بين التشبيهية والاستعارية والكنائية والتقريرية التي بدت أكثر فاعلية من غيرها. أما البناء فقد ظهر واضحاً من خلال بناء العبارة وبناء النص الذي تم من خلال البحث عن خيط ما يصل بين الأجزاء التي قد تبدو متفرقة لا علاقة بينها. ولم تخل هذه الحكم من المحسنات البديعية التي تكاد تكون مكوناً رئيساً لها، مثل الجناس والطباق والمقابلة.

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم أنيس موسيقى الشعر، (مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ت١٩٥٢م).
٢- ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،(تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
٣- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط٢).
٤- سمير محمد الدروبي، شرح مقامات جلال الدين السيوطي (مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
٥- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، (عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ت٢٠١٢).
٦- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع، ، (دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د ت ط).
٧- عبد القادر الرباعي الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، (دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية)، ت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
٨- عبدالله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا مقاربة أسلوبية حجاجية، (الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط١، ت ٢٠١١م).
٩- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، (الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
١٠- عبدالله العضيبي، النص وإشكالية المعنى، (الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١١- علي بن محمد الماوردي، الأمثال والحكم، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، (دار الوطن، الرياض، ط١، ت١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
١٢- فايز القيسي، تحقيق درر الكلم وغرر الحكم، (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد التاسع والستون).
١٣- فايز القيسي، أدب الحكمة في درر الكلم وغرر الحكم للسيوطي، القيسي، مؤته للبحوث والدراسات- سلسلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مؤتة، مج ٢٠، ع٨، ٢٠٠٥م
١٤- فايز القيسي، جماليات خطاب النسوة في أحاديث بن دريد (حديث زبراء الكاهنة مع بني رئام أنموذجاُ).
١٥- فيصل بن مفتاح الحداد، تحقيق نوابغ الكلم للزمخشري، (جامعة قابوس كلية الآداب، قسم اللغة العربية).
١٦- محمد بلوحي، بنية الخطاب الشعري الجاهلي في ضوء النقد العربي المعاصر بحث في تجليات المقاربة النسقية، (منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ت ٢٠٠٩م).
١٧- مجدي عيد علي الأحمدي، الرؤيا والتشكيل دراسة في شعر محمد لافي، إشراف سامح الرواشدة، (جامعة مؤتة، ت٢٠١٣م).
١٨- مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، (سلسلة عالم المعرفة،٢١٨، ت١٩٩٧م).
١٩- مولود بغورة، أدبية الخطاب في المثل السائر لابن الأثير(رسالة دكتوراه من جامعة الجزائر، كلية الآداب، ت ٢٠٠٥-٢٠٠٦م).
٢٠- نوال مصطفى إبراهيم ،الليل في الشعر الجاهلي، ،(دار اليازوري، عمان الأردن، ت ٢٠٠٩م.).

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١.	**ملخص**	٦٣٦١
٢.	Abstract	٦٣٦٢
٣.	**أولاً: مدخل**	٦٣٦٣
٤.	**ثانيا: الرؤيا**	٦٣٦٧
٥.	**ثالثاً: التشكيل**	٦٣٧٧
٦.	**رابعاً: الخاتمة**	٦٣٩٦
٧.	**المصادر والمراجع:**	٦٣٩٧
٨.	**فهرس الموضوعات**	٦٣٩٩

تم بحمد الله